وفي قوله إن مات ذا الحق خارج ... بدنياه والنفس غير مخرجة
فكن فطنًا وانظر بحسك منصفًا ... لنفسك في أفعالك الأثرية
وشاهد إذا استجليت نفسك ما ترى ... بغير مراء في المرائي الصقيلة
أغيرك فيها لاح أم أنت ناظر ... إليك بها عند انعكاس الأشعة
وأصغ لترجيع الصوت عند انقطاعه ... إليك بأكناف القصور المشيدة
أهل كان من ناجاك ثم سواك أم ... سمعت خطابًا عن صداك المصوت
وقل لي من ألقى إليك علومه ... وقد ركدت منك الحواس بغفوة
وما كنت تدري قبل يومك ما جرى ... بأمسك أو ما سوف يجري بغدوة
فأصبحت ذا علم بأخبار من مضى ... وأسرار من يأتي مدلًّا بخبرة
أتحسب من جاراك في سنة الكرى ... سواك بأنواع العلوم الجليلة
وما هي إلا النفس عند اشتغالها ... بعالمها عن مظهر البشرية
تجلت لها بالغيب في شكل عالم ... هداها إلى فهم المعاني الغريبة
وقد طبعت فيها العلوم وأعلنت ... بأسمائها قدمًا بوحي الأبوة
وبالعلم من فرق السوى ما تعسفت ... ولكن بما أملت عليها تملت
ولو أنها قبل المنام تجردت ... لشاهدتها مثلي بعين صحيحة
وتجريدها العادي أثبت أولا ... تجردها الثاني المعاد فأثبت
ولا تك ممن طيشته دروسه ... بحيث استقلت عقله واستفزت

فثم

٤٦

فثم وراء النقل علم يدق عن ... مدارك غايات العقول السليمة
تلقيته مني وعني أخذته ... ونفسي كانت من عطائي ممدتي
ولا تك باللاهي عن اللهو جملة ... فهزل الملاهي جد نفس مجدة
وإياك والإعراض عن كل صورة ... مموهة أو حالة مستحيلة
فطيف خيال الظل يهدي إليك في ... كرى اللهو ما عنه الستائر شقت
ترى صور الأشياء تجلى عليك من ... وراء حجاب اللبس في كل خلعة
تجمعت الأضداد فيها لحكمة ... فأشكالها تبدو على كل هيئة
صوامت تبدي النطق وهي سواكن ... تحرك تهدي النور غير ضوية
وتضحك إعجابًا كأجذل فارح ... وتبكي انتحابًا مثل ثكلى حزينة
وتندب إن أنت على سلب نعمة ... وتطرب إن غنت على طيب نغمة
ترى الطير في الأغصان يطرب سجعها ... بتغريد ألحان لديك شجية
وتعجب من أصواتها بلغاتها ... وقد أعربت عن ألسن أعجمية
وفي البر تسري العيس تخترق الفلا ... وفي البحر تجري الفلك في وسط لجة
وتنظر للجيشين في البر مرة ... وفي البحر أخرى في جموع كثيرة
لباسهم نسج الحديد لبأسهم ... وهم في حماها تحت ظبا وأسنة
فأجناد جيش البر ما بين فارس ... على فرس أو راجل رب رجلة
وأجناد جيش البحر ما بين راكب ... مطا مركب أو طاعن مثل صعدة